الصحراء في أدب الطفل المصري

إعداد/ أ.دعايدة نصير (*)

الطفل المصري ثروة قومية إذا أحسن إعدادها وإطلاق طاقاتها فهو مورد بشري يمكن أن يبدع لمستقبل أفضل بتشكيل وجدانه من الآن لإدراك أهمية التعامل مع الصحراء واستثمارها كمورد طبيعي يشكل السواد الأعظم من مساحة مصر .

والمتتبع للمواد المتاحة لتعليم الطفل المصري وتثقيفه من مواد مقروءة ومسموعة ومرئية سواء في صورة مناهج دراسية داخل المدرسة أو وسائل إعلامية خارجها ، يجد أنها ترتكز جميعها على الذاكرة وليس على الإبداع فكلها تنحصر في حقائق وقضايا مسلم بصحتها تحد من تفكير الطفل سواء أكان قارئًا أو مستمعًا أو مشاهدًا حيث يوحى مضمونها بالسيطرة والاستبداد بالأوامر والنواهي والخضوع والقدسية لبعض الأفكار والأشخاص بالإضافة إلى انفصالها في أغلب الأحيان عن بيئة الطفل المصري وواقعة ، ولا توفر أساسيات الحوار مع الطفل وتخلو من التعليل والتفسير وأعمال الفكر بالإضافة إهمالها البحث عن العلاقات بين القضايا والبعد عن استخدام الخيال .

نحن نحتاج إلى تنمية الإبداع لدى الطفل وتشكيل الطفل المبتكر ووضعه في سياق اجتماعي يساعده على تنمية قدراته وفكره وخياله للتعامل مع الصحراء .

ومن أفضل الطرق للحصول على نتائج طيبة لخلق حب الصحراء في وجدان الطفل المصري ، الملائمة الكاملة بين تدريس مناهج تعالج الصحراء وتتمشى مع اهتمامات الطفل واحتياجاته وخبراته ودرجة نضجه .

أن توفير هذه المواد التي تسيس الصحراء وتبسط المعلومات عنها وتتوافق مع قدرات الطفل وميوله واحتياجاته ومستواه التعليمي سوف ترسخ لديه حب الصحراء باعتبارها نعمة لا نقمة لتنمية مصر وليدرك أن مصر ليست فقط هبة النيل ، ولكن أيضًا الصحراء هي هبة مصر لما يكمن فيها من كنوز يصبح اكتشافها هو الهدف نحو تنمية شاملة .

(*) أستاذ وأخصائي مكتبات متميز بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

ومن الأمور التي يجب مراعاتها عند إعداد المواد الدراسية والتثقيفية للطفل المصري أن توضع تلك المواد في شكل مشكلات تتعلق بالصحراء لتستثير الطفل وتتحدى عقله وتفتح المجال أمامه كي يفكر تفكيراً علمياً وتفسح المجال لخياله ليقتحم البادية ويتصور ويحلق في عالم مفارق لواقعه.

فإن عرض تلك المواد للطفل في هذا المجال على أنها تطور لا يقف عند حد ويتيح التحدي للعقل، وذلك بعرض المقدمات عن الصحراء ثم النتائج وإفساح المجال أمامه لتحرير عقليته من المحرمات الفكرية من ناحية ومن ناحية أخرى دعوته إلى فحص بيئة الصحراء وصولاً لخبرات جديدة.

إن تدريب الطفل على الاستماع الناقد لكل ما يتعلق بالصحراء والمشاهدة والقراءة الناقدة والترحيب بإبداء الرأي في هذا الموضوع والدعوة إلى تفسير وتحليل وموازنة الآراء والحقائق التي تتناول الصحراء سوف تكشف العلاقات وتدعو إلى استخدام الخيال والمخاطرة العلمية المحسوبة لاكتشاف الصحراء.

وحيث أن المنزل هو البيئة الأولى التي تحتضن الطفل منذ ولادته وترسم الملامح الأساسية لشخصيته فهو الذي يشكل وجدان الطفل ويوجهه، ويكون عاداته وميوله حيث يتأثر الطفل بالثقافة التي يعيش فيها داخل المنزل، ويصبح دور الوالدين فعال في تكوين ميول الطفل وتنميتها وتوجيهها لحب واكتشاف الصحراء وتوفير الألعاب والمواد المقروءة والمسموعة والمشاهدة، والجذابة والمناسبة في هذا المجال.

ونظراً لأن الطفل يميل إلى حب الاستطلاع ويكثر من الأسئلة، يجب توفير المواد في مجال الصحراء والإجابة عن أسئلته ومساعدته في زيادة حبه للكتب والأفلام والبرامج التي تختص بالصحراء والطفل بطبيعته يميل إلى الجمع والادخار والاقتناء، وعلى الأسرة أن توفر له الفرصة لرحلات متكررة إلى الصحراء يجمع منها الأحجار الصغيرة المتوفرة، ويمتلك الكتب التي يكون محور اهتمامها الصحراء، وتخصص الأسرة رفًا خاصًا بالطفل بمكتبة المنزل أو في حجرته لتلك المجموعة من الكتب.

ويأتي دور المدرسة ومكتبتها في تنمية ميول الطفل تجاه الصحراء، وذلك بتخصيص ساعة الحديث عن قصص محورها الصحراء من الناحية التاريخية والأسطورية والخيالية، وما يمكن أن تشمله من مغامرات بحيث تهدف هذه الساعة إلى تحبيب الأطفال للقصص عن الصحراء، وتعريفهم بها بالإضافة إلى تدريب القراءة حيث يقوم بعض الأطفال بقراءة الكتب والقصص التي تتناول الصحراء لزملائهم ثم تدور حولها المناقشات التي تتناول النص بجانب الرسوم الفنية والصور المتضمنة في الكتب التي يقرءونها بشرط أن تترك لهم حرية اختيار ما يقرءونه وما يناقشونه وما يلخصونه في هذا الموضوع.

واصطحاب الأطفال إلى المكتبة العامة خارج المدرسة والتي توفر ركنًا خاصًا للمواد عن الصحراء يعطي الفرصة لقضاء بعض الوقت للقراءة في هذا المجال، وقد تحكي أمينة المكتبة للأطفال قصة أو

تستعرض كتابًا يتناول الصحراء ويترك للطفل حرية التقليب في الكتب في هذا الموضوع للتعرف عليها أو استعارتها كما يمكن أن تقوم كلاً المكتبتان: مكتبة المدرسة والمكتبة العامة بعرض الكتب الأنيقة في التجليد والجميلة في أغلفتها والتي تتناول الصحراء، وكل ما يتعلق بها، وذلك في لوحات عرض الكتب بشرط اختيار عناوين جذابة ومميزة تدفع الأطفال وتثير اهتمامهم لاكتشاف الصحراء.

بجانب الإطلاع والاستماع والمشاهدة بمكتبة المدرسة والمكتبة العامة، يمكن استخدام الإذاعة المدرسية كوسيلة تثير حماس الطفل نحو حب الصحراء وتزوده بمختلف الخبرات التثقيفية في هذا الموضوع حيث يقوم الأطفال بجمع المادة المذاعة في موضوع الصحراء لإعداده وإلقائه، وهي وسائل مهمة تساعد على تنمية الميل إلى الصحراء وتنمية مهارات النقد وحرية الكلمة بوجه عام.

كذلك يمكن أن يساهم أصدقاء المكتبة في عقد اللقاءات بين الأطفال ومؤلفي الكتب والمواد عمومًا التي تتناول الصحراء لمناقشتهم وإجراء مسابقات قرائية واستماعية ومشاهدة في هذا الموضوع وإعداد الملصقات عن عناوين الكتب التي تعالج الصحراء أو مقتطفات منها.

إن تكريس أنشطة برامج القراءة بمكتبات الأطفال مدرسية وعامة للتعريف بالصحراء، ويتناول الإرشاد القرائي باعتباره القلب امن الخدمات المكتبية كافة وإعطاء الكتاب المناسب عن الصحراء للطفل المناسب، وفي الوقت المناسب على أن يكون هذا هو الشعار الذي يحكم عمل أخصائي مكتبات الأطفال حيث يؤدي الإرشاد القرائي الناجح لمواد تعالج الصحراء ويكون هذا الإرشاد مبني على أسس نفسية وتربوية سليمة. سوف يؤدي إلى جذب الأطفال إلى القراءة عن الصحراء التي يريدونها أو يحتاجون إليها ـ سواء أكانوا قد أعربوا عن احتياجهم إليها أم لا، سواء أكانت المواد متوافرة بالمكتبة، أم سيتم توفيرها في المستقبل. ومن الطبيعي أن يتطلب هذا وجود مجموعات واسعة من المواد القرائية، ويكون مصدرها تبسيط كل الإنتاج البحثي والثقافي والعلمي، والذي تناول الصحراء من الوجهات المختلفة، ثم توجيه القراء الصغار إلى تلك المواد المناسبة لاحتياجهم وقدراتهم والتي تتوافق مع ميولهم أيضًا.

كذلك يمكن إنشاء أندية القراءة للتعريف بالصحراء والتي هي من الأنشطة المتميزة للمكتبات عمومًا لكافة الموضوعات واستخدام برنامج القراءة للجميع للتركيز على الصحراء المصرية وكل ما يتعلق بها وما تم إنتاجه من إنتاج فكري عن الصحراوات في العالم عامة وجعل شعار المهرجان للسنوات القادمة "مصر المستقبل هبة الصحراء".

ويكون الهدف إتاحة الفرصة الكافية والمتعددة للأطفال لتطوير مهاراتهم القرائية في مجال الصحراء عمومًا وتناول المواد عن صحراء مصر خصوصًا، وذلك بتقديم المواد المتنوعة من كتب ومجلات وشرائح وأفلام وصور مع اختلاف الموضوعات التي تتناول الصحراء من ناحية المناخ، التضاريس،

الثروات الطبيعية، العادات والتقاليد، المساكن، مصادر المياه والحفاظ عليها والقصص الخيالية والواقعية التي كتبت عن الصحراء على أن توفر تلك المواد للأطفال المعوقين أيضًا والذين تمنعهم الإعاقة من الحضور إلى المكتبة. إن تأصيل عادة القراءة عن الصحراء كنشاط ممتع خلال وقت الفراغ والعطلات الصيفية للأطفال سوف ينشئ علاقة دائمة مع الأطفال الذين سيواصلون التردد على المكتبة العامة للقراءة في مجال الصحراء بعد الانتهاء من العطلة الصيفية.

كذلك يجب أن تنشأ علاقات عامة للتوعية بالصحراء بين المكتبة، عامة ومدرسية، وبين الآباء والأمهات والمعلمين من جهة أخرى، ويمكن استغلال برنامج يعتمد على أسلوب (اقرأ لي) حيث يقوم أولياء الأمور والمدرسون وأخصائي المكتبات بالقراءة في مجال الصحراء للأطفال لسن ما قبل المدرسة أيضًا، ويمكن تركيز موضوع الصحراء في مسابقات حيث تركز على حب الصحراء، وتتعدد أشكال تلك المسابقات وأنواعها حتى يختار الأطفال منها وفقًا لميولهم واستعداداتهم وقدراتهم وبصورة تبرز مواهبهم ومهاراتهم فمنها مسابقات القراءة الحرة للمواد التي تتناول الصحراء، والتي تعتمد على القراءة والتلخيص ونقد الكتب ومنها مسابقات البحوث والمقالات في موضوعات الصحراء والتي تهم الأطفال، ومنها مسابقات أرشيف المعلومات أو الألبومات التي يجمع فيها الأطفال الصور والرسوم والتعليقات والمعلومات والخرائط عن الصحراء.

هذا مع مراعاة أن تنفذ هذه المسابقات بكل مكتبة عامة ومدرسية مع منح الأطفال الفائزين جوائز عينية رمزية ويفضل أن تكون هذه الجوائز مجموعات من الكتب والمواد الثقافية التي تتصل بالصحراء والمناسبة لمستواهم التحصيلي وقدراتهم وميولهم القرائية حتى تكون هذه المجموعة التي تهدي للطفل بمثابة نواه لمكتبته الخاصة التي يحرص على إنمائها والإضافة إليها باستمرار.

وأخيرًا وليس أخرًا لا يمكن أن ننمي حب الوطن في وجدان الطفل المصري والسواد الأعظم من أراضيه صحراء لا يعرف عنها الطفل القدر الكافي لثرواتها وإمكانية استغلالها لتنمية شاملة لمستقبل مشرق.